الفصل الثالث

دوافع الموقف السعودي في الصراع وأهم خصائصه

تتعدد الدوافع التي تفسر موقف السعودية من الصراع ، كما يتسم هذا الموقف بعدد من الخصائص نعالجها على التوالي في مبحثين نخصص الأول للدوافع ، ونجعل الثاني لاستظهار هذه الخصائص .

المبحث الأول
دوافع الموقف السعودي من الصراع العربي الصهيوني

تتحدد السياسة السعودية ، ودور المملكة في قضية الصراع العربي الإسرائيلي بعدد من المنطلقات التي ترتكز على القناعات الفكرية والسياسية والتجارب العملية ، ويمكن أن نحصر هذه المنطلقات في مجموعتين هما مجموعة المنطلقات الفكرية والأيديولوجية والسياسية والقومية ، والمجموعة الثانية هي مجموعة المنطلقات المتصلة مباشرة بالمصالح الأمنية والاستراتيجية للمملكة .

المطلب الأول : الدوافع الفكرية والأيديولوجية والسياسية والقومية :

١ – تعتبر السعودية أن إسرائيل تجسيد للصهيونية ، وأن الصهيونية حركة سياسية لا دينية ، لها طابع عنصري وروابط استعمارية وأهداف استيطانية . وتلتقي الصهيونية مع الشيوعية والحركات الالحادية والاستعمار على الكيد للإسلام والعروبة . ولكن الفكر السياسي السعودي يفرق بوضوح – في معظم الأحيان – بين اليهودية كدين سماوي يجله المسلمون ، وبين الحركة

الصهيونية [1] الفاشية التي تنكر كل القيم والأديان ، رغم تسترها وراء مزاعم دينية غلابة ، وغير ذلك من المزاعم التاريخية والقومية وغيرها .

كذلك تعتقد الزعامة السعودية أن التضافر بين الشيوعية والصهيونية والاستعمار [2] مؤامرة على الأمة العربية والإسلامية ، وأن أطماع إسرائيل تتجاوز فلسطين إلى المنطقة العربية كلها . وقد ذكر الملك فيصل أن الصهيونية والشيوعية تظهران وكأن الواحدة منهما ضد الأخرى في الشرق الأوسط ، وكما يوهم الصهاينة الأمريكيين بأنهم يعملون لمصلحتهم ، يوهم الشيوعيون العرب بشيء مماثل ، « ولكن الحقيقة هي أن الشيوعيين والصهاينة يشكلون عصابة واحدة » [3] .

---

(١) التمييز بين اليهودية والصهيونية على أساس الطابع الديني لليهودية والطابع الاستعماري الاستيطاني للصهيونية أمر يستحق الدراسة ، لأن الصهيونية تسوق الحجج الدينية والعاطفية كسبب للعلاقة بينهم وبين فلسطين ، فهم من هذه الزاوية يمكن أن يوهموا غيرهم بأنهم من غلاة اليهود ، ولكن الحقيقة عكس ذلك تماما . وكان الفكر السياسي العربي – ولا يزال معظمه – لا يقيم تمييزا بين اليهودي والصهيوني لأن الحركة الصهيونية نشأت بالطبع بين اليهود ، كما أن إسرائيل تأمل أن تكون مستودعا ومأمنا لكل يهود العالم ، ويطلق عليها الدولة اليهودية Jewish State . وقد ظهر اتجاه في الإعلام العربي بعد ١٩٦٧ م يفصل بين اليهودية والصهيونية حتى يعفي المسلمين من تهمة التعصب الديني ضد اليهود ، ويحصر العداء والكفاح ضد ذوي الاتجاهات والأطماع السياسية من اليهود دون غيرهم . ولكن الخط الإعلامي العربي كان متناقضا إذا كان يسوق مقولة أخرى مؤداها أن هدف العرب هو إلقاء « اليهود » في البحر قبل عام ١٩٦٧ م ، ولم يقدم الإعلام العربي تبريرا لهذه النقلة الحادة في الفكر السياسي العربي . وانظر أيضا في خصائص التفكير العربي قبل عام ١٩٦٧ م وبعده د. علي الدين هلال ، مشروعات الدولة الفلسطينية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، القاهرة ، ١٩٧٨ م ، ص ١٦ .

(٢) انظر في العلاقة بين الصهيونية والاستعمار ، د. أمين عبد الله محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، عالم المعرفة – الكويت ، فبراير ١٩٨٤ م . فإذا كان الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية ، فإن الصهيونية هي أعلى مراحل الاستعمار ، والارتباط بينهما تاريخي وحتمي ، ولكن الذي حدث هو انتهاء الاستعمار التقليدي وتحالف الاستعمار الجديد مع الصهيونية .

(٣) للاطلاع على معلومات أوفى عن العلاقة بين الشيوعية والصهيونية يرجى الرجوع إلى : زهدي الفاتح ، اليهود ، بيروت ١٩٧٢ م ص ٦ وما بعدها . وانظر أيضاً نهاد قادري :
The Secret history of communist- Zionist relationship نشرته دار الكاتب العربي (بدون تاريخ) وهو دراسة وثائقية شاملة عن صور هذه العلاقة .

ولقد ظل هذا الأساس الفكري للموقف السعودي مستمرا منذ عبر عنه الملك عبد العزيز في كتابه للرئيس الأمريكي روزفلت ، وظلت القيادة السعودية على قناعة كاملة به حتى اليوم . وقد يضيق المقام هنا إذا أوردنا – على سبيل الاستشهاد – بعض أقوال القادة السعوديين ، ولكننا نكتفي بالإشارة إلى أن الملك فيصل – رحمه الله – لم يترك مناسبة إلا وأكد فيها هذا الارتباط بين الشيوعية والصهيونية ، على أساس أن الشيوعية وليدة الصهيونية ، وكلاهما يستهدف قيم الحضارة ، وإفساد النشيء وقد عبر عن ذلك على سبيل المثال في كلمته في أبريل ١٩٧١ م . أمام طلبة الكلية الحربية الأمريكية . وأكد على تعدد أبعاد المؤامرة الشيوعية الصهيونية الاستعمارية ضد العرب في خطابه في حفل الحرس الوطني في نوفمبر ١٩٦٩ م . كما أكد في حديث له في عمان في يناير سنة ١٩٦٦ م على « أن نكبة فلسطين نتيجة لمؤامرة غربية شرقية ، وكأن الجميع متفقين لأول مرة في تاريخهم على أن تحل النكبة بالعرب وإيجاد دولة إسرائيل » .

ولقد لوحظ إصرار القيادة السعودية على الربط بين الشيوعية والصهيونية [1] ، كما أن الإعلام السعودي في الولايات المتحدة يبرز هذه الحقيقة . وهذا قد يفسر بأمرين :

الأمر الأول : أنه ينم عن اقتناع بهذه الرابطة مهما بدا من مظاهر الاختلاف والشقاق بينهما .

---

(١) أما العلاقة بين الصهيونية والشيوعية فلها جانب ديني هو التحالف ضد الإسلام وجانب انتهازي هو التحالف لتحقيق الأهداف المشتركة مما يعكسه موقف الاتحاد السوفيتي من إسرائيل عند نشأتها ، وحيث اعتبر الحركة الصهيونية من حركات التحرر الوطني ، انظر في ذلك محمد السيد سليم ، الاتحاد السوفيتي ومنظمة التحرير الفلسطينية ، مجلة السياسة الدولية ١٩٧٢ م . وانظر أيضاً دراسة نهاد تمادري عن قصة التاريخ السري للعلاقة بين الشيوعية والصهيونية ، مرجع سابق ر وقد كشف Stephen Green شيئا من ذلك في كتاب صدر عام ١٩٨٤ م في الولايات المتحدة بعنوان : «Taking Sides: The U.S. Israel Special Relationship». كما استكمل جرين جوانب التواطؤ والانحياز الأمريكي المطلق لإسرائيل من ١٩٦٧ م حتى ١٩٨٧ م في كتاب صدر حديثا وترجم إلى اللغة العربية في عمان بعنوان : بالسيف : أمريكا وإسرائيل في الشرق الأوسط : Living by the sword : America and Israel in the Middle East, 1988 Brattlebore, Amana Books, 1988.

والأمر الثاني : ربما يستهدف تعبئة الرأى العام ضد الصهيونية ، في ضوء موجة العداء للشيوعية التي تغذيها الحكومات الأمريكية المتعاقبة ، وبذلك يتوازى كراهية الشعب الأمريكي للشيوعية ، مع كراهية مماثلة للصهيونية ، بما يؤدي إلى تحطيم صورة إسرائيل وزعزعة حجج الإدارة الأمريكية التي تسوقها كمبرر لدعم إسرائيل ، وفي مقدمتها دور إسرائيل في التصدي للشيوعية [1] .

٢ – إن الخلافات العربية تؤدي إلى تبديد الطاقات العربية ، وترجيح كفة إسرائيل ، وهذا من شأنه أن يكرس ضياع فلسطين ، بل يؤدي إلى تمكين إسرائيل من المضي نحو استكمال مخططاتها في المنطقة العربية . وهذه القناعة هي سبب إصرار القيادة السعودية على أن العمل العربي الجاد ضد إسرائيل يبدأ بتنقية الأجواء العربية مهما كلفها ذلك من جهد ، ومهما كان الإنجاز بطيئا وسط الدمار . بل أن القيادة السعودية منذ بداية المشكلة في المنطقة ترى أن القضية الفلسطينية يجب أن تكون نقطة توحيد والتفاف العرب وتضامنهم على ضوء أطماع إسرائيل التي تستهدف الجميع ، ولذلك عبرت عن حسرة عميقة عندما أصبحت هذه القضية بالذات هي محور الصراعات والخلافات والتشرذم في العالم العربي .

ولقد أدت هذه القناعة في الفكر السياسي السعودي إلى أن يكون الطابع المميز للدبلوماسية السعودية هو أن يكون أولى أولويات تركيزها نحو تحقيق المصالحة والوفاق في المنطقة العربية كلها ، والتجاوز عن دواعي المهاترات العربية ضدها ، ونأت بنفسها عن أن تكون طرفا في أي صراع أو خلاف عربي ، مما مكن لها من أن تلعب دور الوسيط والملطف للخلافات العربية .

٣ – أن الصراع ضد إسرائيل جهاد تقتضيه العروبة والإسلام ، وأن طاقتها وإمكانياتها وقف على هذا ، وليست مساهمتها في دعم دول المواجهة مساعدة لدول عربية شقيقة تضررت من العدوان يتعزز بحسن العلاقات الثنائية

---

(١) هذا الأسلوب يطلق عليه الأسلوب النفسي في تحليل العلاقات الدولية ، راجع تفصيلا عنه في William Davidson& Joseph Monteville, Foreign Policy according to Freud, « Foreign Policy No. 45 Winter 1981-82. PP. 145-157 ».

ويتذبذب بحالتها . ولذلك فإن ازدهار السعودية وانتعاش مواردها المالية ، وتقوية قواتها المسلحة ، إضافة هامة إلى الجهد العربي العام .

وهذا يفسر تصدي إسرائيل والعناصر الصهيونية ضد أي إمدادات أمريكية للسعودية بأسحلة متقدمة ، ومن أمثلة ذلك عام ١٩٨١ م إبان المعركة الدبلوماسية الشهيرة التي انتهت بحصول المملكة على طائرات الآواكس [١] .

٤ – أن قضية فلسطين في الفكر السياسي السعودي لها أبعاد قومية عربية ، كما أنها ذات بعد ديني إسلامي ، فضلاً عن أنها قضية شعب يكافح من أجل تحرير ترابه وإرادته .

وهذه النظرة السعودية إلى القضية الفلسطينية ترتب عليها آثار هامة ملموسة في السلوك السياسي الرسمي للمملكة ، وهذه الآثار هي :

(أ) احتضان الفلسطينيين اللاجئين ورعايتهم ، ودعم المنظمات الدولية القائمة على تحسين أحوالهم في الأراضي المحتلة أو في الدول العربية ، والمسارعة إلى تسديد التزاماتها العربية بشأنهم في جميع المحافل والمنتديات العربية والأجنبية .

(ب) نسب إلى الملك فيصل قوله [٢] أن السعودية هي التي اقترحت تشكيل كيان سياسي للكفاح الفلسطين ابتداء بمنظمة تحرير فلسطين ، ثم منظمة التحرير الفلسطيية . وعملت المملكة بكل الطرق على دعم الكفاح المسلح الفلسطيني ، وإبراز الهوية الدولة لمنظمة التحرير في الإطارين العربي والعالمي ، فلم تؤثر الخلافات مع بعض الدول العربية مثل مصر خلال أحداث اليمن (٦٢ –

---

(١) يذكر الكسندر هيج وزير خارجية الولايات المتحدة حينذاك أن اتجاه الادارة الأمريكية كان يميل إلى رفض الصفقة تحت ضغط وجهود إسرائيل حيث قال شامير وزير خارجية إسرائيل آنذاك أن السعودية ليست معتدلة عندما يتعلق الأمر بأمن إسرائيل ، كما يذكر هيج أن ضرب إسرائيل للمفاعل النووي العراقي إبان ذلك أضعف حجج الإدارة وإسرائيل وساعد في تمرير الصفقة . راجع مذكرات هيج ، الوطن العربي ، العدد ٣٧٧ في ١٩٨٤/٥/٤ م ، ص ٤٣ .

(٢) صحيفة البلاد في ١٩٦٤/٦/٢٥ .

١٩٦٥ م) على هذا الخط . وكانت السعودية ترى في الكفاح المسلح الفلسطيني أهمية سياسية ونفسية وعسكرية كبيرة في مجمل المواجهة العربية الإسرائيلية [١] .

(جـ) ولعله من الواضح أن المملكة قد برهنت بالفعل والقول على صدقها مع نفسها من المقاومة الفلسطينية ونظرتها إليها حيث تمسكت المملكة بخط ثابت لا تحيد عنه ، وهو ضرورة دعم المقاومة بكل السبل ، وتحقيق التضامن ونبذ الشقاق بين فصائل المقاومة ، وتحرير المقاومة من وصاية أي نظام عربي ، وعدم إغراق المقاومة في بحار الصراعات والخلافات العربية .

وتجدر الإشارة إلى بعض المواقف ذات الدلالة في المحافظة على المقاومة ووحدتها واستقلالها من ذلك ثلاثة مواقف على الأقل ، منها :

الموقف الأول : أن المملكة نادت بأعلى صوتها ، برغم الظروف المختلفة ، في مؤتمر القمة العربية في الرباط عام ١٩٧٤ م أن منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد لكل الفلسطينيين أينما وجدوا ، واقتنعت الأردن بذلك .

الموقف الثاني : المساهمة في ضمان اتفاق إطلاق النار في يوليو ١٩٨١ م بين إسرائيل والمقاومة ، ومفاوضات تأمين خروج المقاومة من بيروت ١٩٨٢ م [٢] .

والموقف الثالث : وهو الذي أصرت فيه المملكة على شرعية قيادة ياسر عرفات ضد المشقين عليه منذ يناير ١٩٨٣ م ، وحذرت من مخاطر تحطيم هذه الزعامة ، وأدانت بصراحة محاولات الأطراف الضالعة في هذا العمل دون مواربة . وكانت تصريحات الملك فهد ، وكذلك تصريحات الأمير عبد الله ولي العهد بالغة الوضوح في تحديد موقف المملكة التي لم تتوقف يوماً عن السعي لتحقيق هذه القناعة وسط ظروف بالغة الصعوبة والخطر ، وهو ما سنفصله بعض الشيء فيما بعد .

ولقد بذلت المملكة مساعيها منفردة ، وفي إطار مجلس التعاون لانقاذ

---

(١) انظر د. السيد عليوه ، الملك فيصل والقضية الفلسطينية ، الرياض ١٩٨٢ ، ٩٠ ٩١ .

(٢) راجع مذكرات هيج ، الوطن العربي ، العدد ٣٧٥ ، يوم ١٩٨٤/٤/٢٠ م ، ص ٤١ .

المقاومة الفلسطينية وقيادتها الشرعية ، وناشدت كافة الأطراف كي يعملوا على تحكيم العقل ووقف هذا الانتحار الذي لا يستفيد منه سوى إسرائيل ، ويسيء إلى صورة العرب في كل مكان ، ويظهرهم في مظهر غير العاقل وغير المسئول الذي ليس أهلا للتعامل والثقة ، وهو ما أبرزه الإعلام الإسرائيلي على الفور . ولقد بدا من المحزن أن شراسة الصراعات داخل الصفوف الفلسطينية أشد من ضراوة المواجهة مع إسرائيل ، كما أن كمية الدم والمال والجهد المراق في هذه الصراعات يفوق بكثير ما أريق في مواجهة إسرائيل .

وقد عبرت الصحافة السعودية [1] يوم ١٧ نوفمبر ١٩٨٣ م عقب سقوط مخيم البداوي ، في يد المنشقين المدعومين من سوريا وليبيا ، عن اقتناعها المطلق بأن هزيمة عرفات لن تعني هزيمة الثورة الفلسطينية وإطفاء جذوتها ، ولن تؤدي إلى احتواء الإرادة الفلسطينية في أي سجن عربي .

٥ – أدركت المملكة أهمية إبراز البعد الديني الإسلامي في استنهاض همم الدول الإسلامية والتفافها حول نصرة الحق العربي في فلسطين . ولذلك كان سعيها نحو تجسيد وحدة العالم الإسلامي في إطار المؤتمرات الإسلامية منذ عام ١٩٦٩ م ، حيث كان إحراق إسرائيل للمسجد الأقصى حادثاً أهاج عواطف المسلمين ضد إسرائيل في كل مكان ، ودفع العالم الإسلامي إلى الخندق العربي بعد أن كانت المواجهة مع إسرائيل ذات طابع عربي واضح[2]وهكذا أبرزت المملكة باستمرار أن استرداد القدس هو معقد هدف الجهاد الإسلامي ضد إسرائيل ، ولذلك نجد المشروع السعودي للسلام ذا النقاط الثمانية الذي أعلنه الملك فهد حين كان ولياً للعهد عام ١٩٨١ م يجعل القدس عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة التي يطالب بإقامتها .

وتجدر الإشارة إلى أن المملكة في سبيل دعم الحق العربي عسكرياً ودبلوماسياً أنفقت الأموال الطائلة لدعم دول المواجهة ، وتمويل مشتريات

---

(١) انظر على سبيل المثال الجزيرة السعودية يوم ١٩٨٣/١١/١٧ م .

(٢) راجع تفاصيل البعد الإسلامي وتطوره في الصراع العربي الإسرائيلي كتابنا أصول التنظيم الإسلامي الدولي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٨ م ، ص ٤٣ وما بعدها .

الأسلحة ودعم منظمة التحرير الفلسطينية بكل الطرق ، وتقدم مبالغ كبيرة إلى دول العالم الثالث ، والعالم الإسلامي بوجه خاص من خلال المؤسسات المالية السعودية والعربية والإفريقية والعالمية ، وهي تهدف – بشكل أو بآخر – إلى دعم القضية الفلسطينية .

٦ – أن حصر إسرائيل ومقاطعتها اقتصاديا وسياسيا ونفسيا كفيل بهزيمة نوازع الغطرسة والعدوان في إسرائيل وإرغامها على الاقتراب من أعتاب العدل والسلام . وانطلاقاً من هذا الاعتقاد أظهرت السعودية تمسكها بسياسة المقاطعة العربية الصارمة ضد إسرائيل .

٧ – تعتقد المملكة أن الدعم الأمريكي لإسرائيل هو الذي يشجعها على التصلب والمغامرة [١] . ولقد حاولت المملكة باستمرار أن تستثمر الصداقة السعودية الأمريكية ، والحاجة الأمريكية للبترول السعودي ، لتحسين الموقف الأمريكي لصالح الحق العربي فلم تتردد في الربط بين التحسن في الموقف الأمريكي ومستوى الصداقة مع واشنطن ، كما لم تتردد في فرض حظر على تصدير النفط إلى الولايات المتحدة عام ١٩٧٣ م للضغط على واشنطن لتخفف من مساعداتها لإسرائيل .

ولقد خذلت المملكة ظنون الذين اعتقدوا أن الصداقة السعودية الأمريكية أمر مسلم به في إطار مصالحهما المتبادلة ، وذلك حين أثبتت المملكة باستمرار أن أي صداقة مرهونة بمدى جدواها في خدمة أولويات سياستها ، والقضية الفلسطينية بالقطع على رأس هذه الأولويات [٢] .

وتجدر الإشارة على سبيل المثال إلى الخلاف الذي أكدته المملكة مع الولايات المتحدة حول أولويات اهتماماتها . فالولايات المتحدة تعتقد أن تضافر

---

(١) راجع د. إبراهيم العواجي ، U.S- Saudi Economic and Political Relations.

(٢) نفس المرجع وقد ألقى هذا البحث في مؤتمر نظمته جامعة سانت لويس في ميزوري مع مجلس الشئون العربية الأمريكية يومي ٢٢ – ٢٣ سبتمبر ١٩٨٣ حول « التحدي الذي يواجه الدبلوماسية الأمريكية في دول الخليج » ، ونشر في مجلة American Arab Affais, No. 7, Winter 1984, PP. 55- 59.

الجميع لمواجهة الشيوعية العالمية يقتضي تقديم قضية محاربة الشيوعية على أي اعتبار آخر بما في ذلك الخلافات العربية الإسرائيلية . إلا أن المملكة أظهرت في سلوكها الدولي أنها وإن كانت تناهض الشيوعية العالمية ، فإن ذلك يتم لاعتبارات مختلفة ، وأن هذا الموقف لا يصل إلى مشاركة واشنطن في نفس درجة الحماس لمناهضة الشيوعية بحيث تصبح قضية العرب الأولى . بل على العكس من ذلك عبرت القيادة السعودية عن اقتناعها بأن الإنحياز لاسرائيل ضد حقوق عادلة واضحة بهذا الشكل الصارخ يُمكّن للشيوعية العالمية [١] ، ويعلن عن إفلاس ونفاق القيم الديمقراطية الغربية التي عجزت عن أن ترى الحق حقا فتتبعه ، وأن ترى الباطل باطلاً فتجتنبه . وليس بخاف ما تقوم به المملكة من دعم نواة اللوبي العربي داخل الولايات المتحدة لتصحيح الصورة لدى الرأى العام الأمريكي ، والتأثير – كلما أمكن – على القرار الأمريكي تجاه المنطقة [٢] .

وتشير بعض الدراسات [٣] إلى أن سلوك المملكة في الأمم المتحدة ، وفي علاقاتها الدولية بشكل عام لا يتأثر بصراع الشرق والغرب ، أو بموقف أحد أطراف الصراع العالمي الذي تعتقد أنه لعبة بين الكبار لا دخل لها فيه ، وإنما تتمحور سياستها حول القضية الفلسطينية .

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع د. عبد الله الأشعل الاطار القانوني والسياسي لمجلس التعاون الخليجي ، الرياض ١٩٨٣ م ، ص ١٨٨ – ١٩٢ .

(٢) انظر للتفصيل Haag Levins, Arab reach The Secret war against Israel, Doubleday and Co. Inc, New York, 1983.

(٣) د. عبد الله القباع ، المملكة العربية السعودية والمنظمات الدولية ، ١٩٨٠ م ص ١٣١ ، السياسة الخارجية السعودية ، الرياض ١٩٨٦ م .

المطلب الثاني : الدوافع الأمنية والاستراتيجية :

الفرع الأول : مخاطر الوجود الإسرائيلي وسياسته العدوانية :

لا يجب التقليل من أهمية الدوافع الأمنية المشروعة لدور المملكة وسياستها في الصراع العربي الإسرائيلي [١] إذ أن وجود إسرائيل وسياستها العدوانية التوسعية [٢] ، وارتباطها بالولايات المتحدة ، فيه تهديد للأمن القومي العربي والأمن القومي السعودي ، واستنزاف للطاقات العربية والسعودية ، وفيه تعطيل للتقدم الحضاري في المنطقة العربية .

ولقد ثبت أن العدوان الثلاثي على مصر هو بداية خروج إسرائيل في عمليات عدوانية منظمة تطبيقا لنظرية الأمن الإسرائيلية التي تتطلع إلى تحقيق أحلام إسرائيل التوسعية بالتدريج .

ومن ناحية أخرى أقترب العدوان الإسرائيلي بدرجة أكبر من المملكة بعد احتلالها عام ١٩٥٦ م لمضيق تيران عند مدخل خليج العقبة . صحيح أن قوات الأمم المتحدة الخاصة بحفظ السلم بين مصر وإسرائيل قد حلت محل القوات الإسرائيلية لمدة عشر سنوات من ١٩٥٧ م حتى ١٩٦٧ م حيث أعادت إسرائيل احتلال المضيق عام ١٩٦٧ م ولم تنسحب منه إلا عام ١٩٨٢ م [٣] ، إلا أن هذا العدوان وآثاره قد أدى إلى عدد كبير من النتائج في الفكر والسلوك السعودي نورد منها ثلاثة هامة وهي :

---

(١) راجع على سبيل المثال تصريحات الملك فهد ، حيث يرى أن هناك اعتقادا جازما بأن خطط إسرائيل تهدد المملكة والمنطقة العربية ، انقبس الكويتية ، ١٩٨٢/٦/١٤ م ، وكذلك الفصل الأول من كتاب د. السيد عليوه سالف الإشارة إليه حيث يتحدث عن تطور الأمن القومي السعودي .

(٢) د. إبراهيم العواجي ، مرجع سابق ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٣) راجع في تطور وضع هذا المضيق وتفصيلات أخرى د. إدريس الضحاك ، قانون البحار وتطبيقاته في الدول العربية ، الرباط ، ط ١ ، ١٩٨٧ م ، ص ٤٦٥ – ٤٧٨ .

النتيجة الأولى : ازدادت المملكة اقتناعاً بمخاطر نقل إسرائيل لأطماعها من داخل فلسطين إلى الدول العربية المجاورة في إطار سياسة الردع والإرهاب الصهيونية . وحيث أن مصير العرب واحد [1] – في نظر المملكة – فإن التضامن السعودي أصبح له معنى الدفاع عن الذات العربية الواحدة بصرف النظر عن الدولة التي يستهدفها العدوان الإسرائيلي .

وفي ضوء هذا الاعتبار المتعدد المدلولات يمكن تفسير المساندة السعودية المخلصة لمصر خلال العدوان عام ١٩٥٦ م ، والتضامن مع الجبهة العربية عام ١٩٧٣ م .

النتيجة الثانية : أنه لا مفر من دعم القدرات العسكرية السعودية حتى تكون سنداً في أبواب هذا الصراع الجديد الذي أصبح تحديا حقيقياً للقدرات العربية ، كما أن المملكة قد أدركت الأخطار الأمنية الواضحة من جراء هذه السابقة التي أصبحت في الواقع نمطاً مستمراً للسلوك الإسرائيلي . وقد أوضح المندوب الدائم للمملكة في الأمم المتحدة في أكتوبر ١٩٥٧ م إبان انعقاد الدورة الثانية عشرة للجمعية العامة ومناقشتها لقضية المرور في خليج العقبة ، الاعتبارات الأمنية [2] الماثلة من جراء استخدام إسرائيل للقوة لفرض واقع يفيدها ويمكنها من المرور ، وبذلك أصبحت القوة وسيلة فرض امتيازات في صورة حقوق .

النتيجة الثالثة : أثرت الاعتبارات الأمنية على تشكيل السياسة البحرية للمملكة [3] منذ قيام إسرائيل ، حيث صدر المرسوم الملكي لعام ١٩٤٩ م ، ثم حل محله المرسوم الملكي رقم ٣٣ لعام ١٩٥٨ م ، الذي مدت بموجبه المياه الإقليمية السعودية إلى اثنى عشر ميلاً بحريا ، كما فرقت المملكة تماماً بموجبه بين المياه الداخلية ، والمياه الإقليمية ، مع إخضاع الأولى للولاية المطلقة للمملكة ،

---

(١) انظر ذلك على سبيل المثال ، تصريحات الملك فهد التي تؤكد بها هذا المفهوم الثابت في السياسة السعودية ، صحيفة المدينة ١٩٨٢/٧/٢٥ م .

(٢) انظر د. ناصر عبد العزيز العرفج ، سياسة المملكة العربية السعودية البحرية (٤٨ – ١٩٧٨ م) الرياض ١٩٨٣ م ، ص ٥٣ – ٥٥ .

(٣) راجع التفصيل في المرجع السابق ، ص ٥٢ – ٥٣ .

واستبعاد حقوق الآخرين في المرور البريء . ويرى البعض أن هذا التطور بشكل خاص سببه قلق المملكة على أمنها في أعقاب العدوان الإسرائيلي عام ١٩٥٦ م .

وهكذا اعتبرت المملكة العدوان الإسرائيلي عام ١٩٥٦ م هو العدوان الثاني في سلسلة المواجهات العربية الإسرائيلية ، ولذلك كان رد الفعل السعودي في هذا الإطار ، وليس مساندة لدولة تقيم أحسن الصلات مع المملكة .

ولا يجب أن يفوتنا أن احتلال إسرائيل عام ١٩٥٦ م لمضيق تيران قد أدخل جزءا من الأراضي السعودية ضمن الأراضي المحتلة ، وقد تردد أن المملكة عام ١٩٦٨ م طالبت بإعادة جزيرة تيران إلى ملكيتها بعد أن كانت قد وضعتها تحت تصرف الجمهورية العربية المتحدة في مطلع ١٩٥٦ م ، مع الاحتفاظ بها كأرض سعودية [١] .

الفرع الثاني : مخاطر الأطماع الصهيونية في الأراضي السعودية :

على أن اهتمام السعودية بمخاطر إسرائيل بوصفها تجسيداً للأطماع الصهيونية ومنطلقاً للتوسع لتحقيق بقية المخططات ، ليس راجعاً فقط إلى وصول المخاطر الصهيونية إلى الأراضي السعودية منذ عام ١٩٥٦ م ، وإنما يرجع الاهتمام السعودي أيضاً بالخطر الصهيوني إلى أن الأراضي السعودية لم تكن بعيدة عن المخططات والأفكار الصهيونية .

فالمعروف أنه وفقاً لمزاعم « الحق التاريخي » التي تروجها الصهيونية والتي تطالب بحق اليهود في الأماكن التي عاش بعضهم فيها أو حكموها لفترة من الزمن ، أو كانت ساحة لنشأة الديانة اليهودية ، يطالب غلاة الصهاينة بالعودة إلى أراضي الجزيرة العربية التي عاش فيها يهود خيبر وبني قريظة وبني قينقاع وبني النضير وغيرهم – الذين كادوا للإسلام والمسلمين في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام [٢] ، كما كادوا للمسلمين من بعدهم ، وكانوا ضالعين في مقتل عمر

---

(١) نفس المرجع .

(٢) د. محمد أرشيد العقيلي ، اليهود في شبه الجزيرة العربية ، عمان ١٩٨٠ م ، ص ١٣٢ – ٢٠٠ .

بن الخطاب وإذكاء الفتنة الكبرى إبان مقتل عثمان [1] ، فضلاً عما دسته الإسرائيليات من سم زعاف لمحاولة تحريف الإسلام في مجالات أهمها التفسير والحديث والتاريخ [2] .

أما فيما يتعلق بمخططات الصهيونية في شبه الجزيرة العربية ، فقد كان من المألوف أن يقتصر الحديث على امتداد هذه الأطماع بين النيل والفرات حسبما خاطب التوراة إبراهيم « لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى نهر الكبير الفراة »، بل تخاطب التوراة بني إسرائيل في صورة أشمل « كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان من نهر الفرات إلى البحر الغربي » ، وتحدد آية أخرى نطاق حركة اليهود « من البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم » . وواضح أن الجزيرة العربية ليست واقعة في المخطط التوراتي لليهود ، ولكن الصهيونية شيء ، واليهودية كديانة سماوية وفق أصولها النقية غير المحرفة شيء آخر تماما .

ومن ناحية أخرى ألفنا شعار الأطماع الصهيونية « من النيل إلى الفرات » وهو الإطار الجغرافي لاسرائيل الكبرى « اريتز إسرائيل – Ertz Israel » الذي يمثل « دليل العمل الصهيوني » ، ولم تكن الجزيرة العربية ضمن هذه الخريطة . وقد يفسر ذلك بأن المخططات الصهيونية المزمع تحقيقها تفاوتت من فترة لأخرى حسب الظروف ، ولكنها في كل الظروف ارتبطت بالمصالح الاستعمارية ، إذ من الثابت أن الاستعمار العالمي والصهيونية العالمية تحالفا لمصالحهما المشتركة ، وكانت الجزيرة العربية بحكم السياسة البريطانية وتحت حكم العثمانيين ، في مأمن من الخطط الاستعمارية .

فقد تحمس نابليون لإقامة « كومنولث يهودي في فلسطين » إذا نجحت حملته في المشرق العربي ، مقابل تقديم الممولين اليهود قروضاً لحكومته التي كانت

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٤ – ٢٠٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢١٢ – ٢١٥ .

تمر في ضائقة اقتصادية خانقة ، والمساهمة في تمويل حملة في المشرق [١] . كما يرى البعض أن تعاطف نابليون مع مطالب اليهود كان يهدف إلى إقامة حاجز بشري بين مصر وسوريا ، وتهديد مصالح بريطانيا [٢] . ثم راحت بريطانيا تتزلف إلى اليهود لاستخدامهم ذريعة لأطماعهما ، وأداة في تنفيذ هذه الأطماع ، فأنشأت قنصلةي لها في القدس عام ١٨٣٨ هـ بحجة رعاية مصالحها في فلسطين ومن ضمن هذه المصالح تقديم الحماية لليهود هناك [٣] . وعبر بالمرستون عن اعتقاده بأن بعث الأمة اليهودية سيعطي القوة للسياسة الإنجليزية [٤] . وأوضحت الصحف البريطانية في دعوتها لإعادة توطين اليهود في فلسطين عام ١٨٤٠ م ، أن قيام دولة يهودية سيفصل بين تركيا ومصر وسيدعم النفوذ البريطاني في الشرق سياسيا وعسكريا واقتصاديا ، كما نبه اللورد شافسبيري ذلك الوقت إلى أن ذلك يؤدي إلى حل الأزمات التي تجتاح الدول المسيحية والدول العثمانية [٥] وتصور بناة الامبراطورية البريطانية أن اليهود في فلسطين هم أداة بناء الامبراطورية وسندها ، ويضمن سيطرتها على الممرات المائية [٦] .

وعندما جددت فرنسا في عهد نابليون الثالث اهتمامها بالشرق دعت مرة أخرى إلى إحياء « القومية اليهودية » وإقناع إوروبا بالمزايا الاقتصادية التي تعود على الصناعة الأوروبية من وراء هذا المشروع [٧] . ثم عادت بريطانيا مرة أخرى تتولى هذا الأمر بعد هزيمة فرنسا في الحرب السبعينية أمام ألمانيا عام ١٨٧٠ م . ولم تحتكم بريطانيا وفرنسا « الورقة اليهودية » ، إذ شاركتهما القوى الاستعمارية الأخرى مثل بروسيا التي افتتحت قنصليتها في القدس عام ١٨٤٢ م ودعت إلى

---

(١) راجع التفاصيل في د. أمين عبد الله محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى – عالم المعرفة ، الكويت فبراير ١٩٨٤ م ، ص ١٤ .

(٢) نقلا عن المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٤) نفس المرجع ، ص ١٩ .

(٥) نفس المرجع ، ص ٢٠ - ٢١ .

(٦) انظر تفصيل ذلك في المرجع السابق ، ص ٢٣ وما بعدها .

(٧) المرجع السابق ، ص ٣٠ – ٣١ .

استقرار اليهود في فلسطين وإنشاء « مملكة القدس » بهدف تحويل فلسطين إلى « مركز متقدم للحضارة الأوروبية » ، ولكي تفصل بين مصر وسوريا وتحمي المصالح الغربية ، ودعا مفكروها إلى أن يتولى عرشها أمير ألماني يتعهد ببعث القيم « الصليبية المسيحية » ويشجع المسيحيين واليهود على الاستيطان فيها لمواجهة تعصب المسلمين الأعمى » [١] .

وهكذا نشطت « جمعية الهيكل الألمانية » منذ نهاية الستينات من القرن التاسع عشر في الإشراف على إنشاء مستعمرات ألمانية في فلسطين ، ولكن التركيز الألماني انصب على القدس بشكل خاص . وتشير إحدى الدراسات [٢] إلى أن بسمارك تبنى عملية الاستيطان اليهودي في فلسطين طمعاً في حماية المصالح الألمانية عن طريق الدولة اليهودية .

وهكذا نرى أن السعودية قد أدركت هذه العلاقة التاريخية والتحالف الأثيم الذي توثقت عراه بين البرجوازية اليهودية والرأسمالية الأوروبية ، والذي مهد الطريق لقيام الحركة الصهيونية ، « والاستيطان اليهودي ، ثم الدولة اليهودية » [٣] ، ولكن إذا كان وضع الدولة العثمانية التي كانت الجزيرة تحت سيطرتها الإسمية قد حال دون امتداد « العمل الصهيوني » ضمن حركة الانتشار والتكالب الاستعماري إلى الأراضي السعودية ، فإن هذه الأراضي لم تكن غائبة عن المخططات والأطماع الصهيونية .

فتشير الوثائق والدراسات الحديثة [٤] إلى أنه في أعقاب احتلال بريطانيا لقبرص ١٨٧٨ م ، ومصر ١٨٨٢ م ، عملت بريطانيا على إقامة أنظمة موالية لها في شرق البحر المتوسط تقوم بدور الحارس الأمين لمصالحها ، وهذا الاتجاه

---

(١) انظر التفاصيل في المرجع السابق ، ص ٤١ وما بعدها .

(٢) نقلا عن المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٣) راجع تفصيلا وتحليلا لهذه الرابطة في المرجع السابق ، الفصل الثاني « النزعة الاستيطانية في الفكر اليهودي الغربي خلال القرن التاسع عشر ، ص ٥٧ وما بعدها .

(٤) انظر د . محمد أرشيد العقيلي ، مرجع سابق ، ص ٢١٩ وما بعدها ، وكذلك المرجع السابق ، ص ١٨٩ وما بعدها .

هو الذي شجع على القيام بمحاولة إنشاء دولة يهودية في أرض مدين ، وهي المنطقة الساحلية الواقعة شمال غرب الجزيرة العربية حيث تتاخم حدودها الشمالية مدينة العقبة الأردنية ، وتمتد جنوباً مسافة ٤٠٠ كم حتى ميناء « الوجه » . وقد خضعت هذه المنطقة عام ١٨٩١ م . للإشراف البريطاني حيث كانت تتبع في إداراتها مركز السويس . وارتبطت مدين – التي تسكنها قبائل بدوية في غالبيتها – في التاريخ الحديث بالمشروع الذي قام بول فريدمان عام ١٨٩١ م بهدف إقامة مستوطنات يهودية فيها تشكل نواة دولة يهودية [١] . وقام فريدمان بحملة واسعة في أوروبا لإقناع زعمائها ، ويهودها ، بالهجرة إلى أرض مدين التي وصف أهلها بأنهم مسالمون وفيهم الكثير من العادات اليهودية لأن مدين – حسب قوله – كانت تشكل في الماضي جزءا من المملكة اليهودية القديمة [٢] . ونجح فريدمان في إقناع اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر آنذاك والحصول على تأييده لمشروعه وإنشاء مستوطنات يهودية في منطقة مدين ، وتلقى فريدمان وعدا من كرومر بتسهيل مهمته لدى الحكومتين المصرية والبريطانية . وأهم ما تضمنه مشروع فريدمان ما يلي [٣] :

١ – تهجير يهود أوروبا الشرقية إلى مدين لانقاذهم من المعاناة ، وإبعادهم عن الانخراط في الأحزاب الثورية ، ومنع هجرتهم إلى أوروبا الغربية والعالم الجديد .

٢ – تشكيل قوة مسلحة مدربة في أوروبا لتفرض هيبتها على « البدو » والمحافظة على أمن واستقرار المنطقة .

---

(١) انظر مشروع فريدمان مشار إليه في هامش ٢ ص ١٩٠ من كتاب د. أمين عبد الله ، مرجع سبق ذكره ، وانظر شيئا عن سيرة فريدمان في نفس الصفحة .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩١ . وقد بقيت مدين مثار خلاف بين العثمانيين والانجليز حتى عام ١٩٠٦ م حين تم فصلها عن الإدارة المصرية ، وضمها إلى الولاية العثمانية في الحجاز ، نفس المرجع ، ص ١٩٦ .

(٣) نقلا عن المرجع السابق ، ص ١٩١ – ١٩٢ .

٣ – إقامة مستعمرة يهودية تتمتع بالاستقلال الذاتي تحت إشراف بريطانيا .

٤ – إنشاء خط حديدي يربط مصر بالهند يحميه المستوطنون اليهود .

ويرى البعض [١] أن بريطانيا قد وافقت – ضمنياً – على هذا المشروع ، مما شجع فريدمان على البدء في تنفيذ مشروعه ، فجمع بعض المتطوعين والمجندين من العلماء والمهندسين والكيماويين والجغرافيين وبعض العائلات من اليهود المهاجرين ، حيث تلقوا تدريبات عسكرية في المجر والنمسا ونقلهم اليخت « إسرائيل » بأسلحتهم وذخائرهم التي زودتهم بها الحكومة النمساوية ، وأبحروا من ميناء ساوث هامبتون في بريطانيا تحت العلم النمساوي في نوفمبر ١٨٩١ م . ونصبت جماعة فريدمان قرب مدين معسكراتها وبدأت الاتصال بأهالي مدين لشراء أراضيهم مقابل أموال طائلة . وارتاب سكان المنطقة في نوايا هؤلاء « الرواد » فلجأوا إلى الحكومتين المصرية والعثمانية طلبا للمساعدة والحماية منهم . وواجهت هذه المغامرة « مصاعب كثيرة » من أفرادها ومن اليهود الرأسماليين الخائفين على مصالحهم الكبرى في الدولة العثمانية ، بالإضافة إلى توجس الدولة العثمانية من موافقة بريطانيا على هذا العمل ، وخشيتها من أن يعوق المستوطنون طريق الحج ، فأوعزت الدولة العثمانية إلى واليها في الحجاز بإرسال جنده وتطهير شبه الجزيرة العربية من المستوطنين اليهود ، ورأت الحكومة البريطانية – لاعتبارات أخرى – إنهاء هذه المغامرة [٢] .

وأشارت بعض المصادر [٣] إلى وقوع شبه الجزيرة العربية في دائرة الفكر الصهيوني في أوائل القرن العشرين ، فقد حدد المفكر اليهودي الألماني دافيس يريتس ، في مقالة نشرت في عدد يونيو ١٩٠٥ م من مجلة التنولاند الصهيونية ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

(٢) راجع التفاصيل في المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

(٣) إميل الغوري : مطامع الصهيونية في ديار العرب والمسلمين ، جريدة الرأى الأردنية في ١٩٨٠/٤/١٠ م ، نقلا عن د. العقيلي ص ٢٢٠ .

حدود الدولة الإسرائيلية بدوائر ثلاث هي : **الدائرة الصغرى** ، وتشمل فلسطين والأجزاء الجنوبية من لبنان وسوريا ، **والدائرة الوسطى** ، وتشمل شبه جزيرة سيناء والضفة الشرقية للقناة ، والشواطىء الشرقية من قبرص وسوريا ولبنان ، وأخيراً **الدائرة الكبرى** ، وتضم أسيا الصغرى والعراق ومصر وشبه الجزيرة العربية وطرابلس الغرب . وهذه دوائر أو مراحل الأطماع الصهيونية ، وقد ظهرت عمليا بالدعاوي الصهيونية في سيناء خلال احتلالها ، **ويجري الآن الإعداد لاقتطاع جنوب لبنان .**

وقد عثر الجنود الألمان الذين فتشوا قصر آل روتشيلد في فيينا خلال الحرب العالمية الثانية على وثائق من ضمنها خريطة سرية تبين حدود الدولة اليهودية الكبرى ، والأقاليم العربية فيها وتشمل دلتا نهر النيل ومديريات مصر الشرقية وسيناء وفلسطين والأردن وجنوب لبنان بما فيها نهر الليطاني ، وأراضي سورية وعراقية والصحراء الواقعة بين العراق والحجاز والمدينة المنورة ومنطقتها [1] .

الفرع الثالث : الأطماع الصهيونية في الاحساء :

تقدم طبيب يهودي روسي يقيم في باريس يدعى الدكتور روتشتين في ٩/١٢ عام ١٩١٧ م برسالة إلى الحكومة البريطانية تتضمن مشروعا لإقامة دولة يهودية في الجزء الشمالي من منطقة الخليج بما فيها البحرين والاحساء . ويطالب المشروع بتجميع جيش مسلح ومدرب في البحرين ، ثم ينطلق إلى الإحساء لاقامة نواة الدولة اليهودية فيها ، بحيث تسارع بريطانيا وحليفاتها بالاعتراف بها والتحالف معها [2] . ويكون من مهام جيش الدولة اليهودية حماية منطقة الخليج وثرواتها .

وقد عارض وزير شئون الهند أدوين مونتاجو Edwin Montague هذه الفكرة بشدة للاعتبارات الآتية [3] :

---

(٢) المرجع السابق ، نقلا عن العقيلي ، ص ٢٢١ .

(٢) لمعلومات أوفى عن هذا المشروع ، راجع د. أمين عبد الله ، مرجع سابق ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٦ .

(أ) أن إدخال اليهود إلى منطقة الجزيرة العربية لن يكون مقبولاً لدى عرب الجزيرة مما يخلق مشاكل معقدة لبريطانيا .

(ب) عدم ملائمة الأماكن المختارة لإقامة الدولة اليهودية بسبب ارتباط البحرين بمعاهدة ١٨٢٠ م مع بريطانيا ، ولأن الاحساء كانت من الناحية الواقعية بحوزة الملك عبد العزيز بن سعود أمير نجد منذ عام ١٩١٣ م ، وهو عقد معاهدة وارين مع بريطانيا عام ١٩١٥ م التي تعهدت فيها الحكومة البريطانية بمساعدته في حالة هجوم أي دولة أجنبية على بلاده [١] .

ولكن روتشتين تسلم بعد أسابيع من إبلاغ مشروعه لبريطانيا ، رد الحكومة البريطانية المتضمن وعد بلفور ، وحثها على توجيه الجهد اليهودي نحو بناء « وطن قومي » لليهود في فلسطين وليس في غيرها ، ذلك الموقف البريطاني الذي وضع حداً نهائياً لأية اجتهادات أخرى حول البحث عن بدائل لفلسطين [٢] .

ولاشك أن خطر إسرائيل المباشر يتضح أيضاً مما كشفت عنه تصريحات زعمائها من عزمهم على تحويل البحر الأحمر إلى « بحيرة يهودية » [٣] . ويدخل في هذا المخطط حرص إسرائيل على التوغل في إفريقيا وخاصة أثيوبيا ، ومناهضتها بالطبع لثورة أريتريا التي تهدف إلى فصل إقليم أريتريا عن أثيوبيا وحرمانها من منافذ لها على البحر الأحمر .

---

(١) المادة الثانية من الاتفاقية المذكورة التي تنص على أنه إذا تجاوزت إحدى الدول على أراضي بن سعود (والإحساء واحدة منها) أو إعقابه من بعده دون إعلام الحكومة البريطانية ودون أن تمنح الوقت المناسب للمخابرة مع بن سعود لأجل تسوية الخلاف فالحكومة البريطانية تعاون بن سعود ضد هذه الحكومة ، وفي مثل هذه الظروف يمكن للحكومة البريطانية بمساعدة بن سعود أن تتخذ تدابير مشددة للمحافظة على استقرار الأمور . المرجع السابق ، هامش ١١٤ ص ٢٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ . وراجع تفاصيل هذه البدائل في المرجع السابق ، الفصل الخامس ، ص ١٨٧ وما بعدها .

(٣) إميل الخوري ، مرجع سابق ، نقلا عن د. العقيلي ، ص ٢٢٢ – ٢٢٣ .

ويذكر إميل الخوري [1] عن مفكري اليهود أن ما يحفزهم للاستيلاء على المدينة المنورة وما حولها أن اليهود كانوا يقطنون فيها ، فهي لذلك وطن لليهود ، كما يذكر أنه عندما اجتمع الملك عبد العزيز بالرئيس الأمريكي روزفلت عام ١٩٤٥ م ، طلب روزفلت من الملك السماح لليهود بالهجرة إلى الحجاز ، وعرض عليه عروضاً مغرية جدا ، ولكن الملك عبد العزيز رفض حتى مجرد البحث في هذا الموضوع [2] .

أما الأسباب الأخرى التي تدفع الصهيونية إلى التطلع نحو الجزيرة العربية ، فهي البترول ، وقد دعت الصحف اليهودية عام ١٩٥٧ م إلى الإسراع في إعمار النقب وتحويلها إلى قاعدة انطلاق صوب الجزيرة العربية [3] . كذلك عبر بعض الصحفيين اليهود عن أطماعهم المقبلة في « مهاجمة الحجاز وتدمير الأماكن المقدسة في مكة والمدينة » [4] . ونقل عن بن جوريون قوله بعد الاستيلاء على القدس عام ١٩٦٧ م « لقد استولينا على القدس واستعدناها ونحن اليوم في طريقنا إلى يثرب » [5] كذلك ينسب إلى جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل عام ١٩٦٧ م عندما زارت مدينة إيلات قولها وهي تنظر إلى الجنوب « إنني أشم رائحة أجدادي بالحجاز وهي وطننا الذي علينا أن نستعيده » [6] .

---

(١) نقلا عن المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٢) لم يرد فيما لدينا من المصادر عن اجتماع الملك عبد العزيز بالرئيس الأمريكي ما يؤكد هذه الرواية ، ولو صحت لكانت إضافة طيبة لما عرف عن الملك من إباء وطني وغيرة على القضية الفلسطينية ، ويبدو لنا أن الرواية تحتاج إلى مزيد من الإسناد .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٢٢٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

(٦) نفس المرجع .

المبحث الثاني

معالم الموقف السعودي في الصراع العربي الإسرائيلي

تتسم السياسة السعودية إزاء الصراع العربي الإسرائيلي بعدة خصائص هامة ، وهذه الخصائص هي :

الأولى : أن كل ما يتعلق بالدور السعودي في هذا الصراع قد وضع أسسه المغفور له الملك عبد العزيز ، وأن القادة السعوديين الذين أعقبوا الملك عبد العزيز من ١٩٥٣ م حتى الآن أي على مدى أكثر من ثلاثين عاماً قد اعتبروا تقاليد المملكة في عهد مؤسسها واجبة الاحترام ، وأكدوا ذلك في جميع أفعالهم وأحاديثهم وخاصة في بيانات تولي العرض منذ وفاة الملك عبد العزيز عام ١٩٥٣ م [١] .

وأن القضية الفلسطينية على حد تعبير الملك هي « إرث الأسرة السعودية » ، **وهذا يعني أموراً ثلاثة** :

الأمر الأول : أن مهمة الباحث في الدور السعودي يجب أن تركز بشكل أكبر على أصول هذا الدور عند الملك عبد العزيز وتحديد طريقة تناوله وفهمه لأبعاده ووسائل تنفيذه ، وهذا ما حاولناه في فصل سابق .

والأمر الثاني : أن المتغيرات الدولية والإقليمية والمحلية قد اقتصر أثرها على تعديل أساليب ممارسة هذا الدور ، دون المساس بأصوله ومنطلقاته أو إن شئنا الإجمال قلنا فلسفته العامة .

---

(١) مثال ذلك تأكيد الملك فيصل في خطابه بمناسبة مبايعته لتولي الحكم بتاريخ ١٣/١١/١٩٦٤ م (٢٧/٦/١٣٨٤ هـ) على هذا المعنى إذ قال « لسنا بحاجة إلى تكرار الأساس التقليدي الذي تسير عليه سياستنا الخارجية .. منذ أسس هذه الدولة بانيها وواضع أساس نهضتها المغفور له الملك عبد العزيز .. » نص الخطاب في : عبد سعود الجهني ، فيصل بن عبد العزيز – قائد أمة ورائد جيل – الرياض ، ص ١١٦ . وراجع أيضا بيان الحكومة السعودية الذي أذاعه الملك فهد حين كان وليا للعهد – نيابة عن الملك خالد ، حيث وردت العبارة السابقة بنصها . نص البيان في : حسن محمد حسن ، عشر سنوات مع الملك فيصل ، ص ١٩٩ .

والأمر الثالث : أن ذلك يعد ميزة كبرى للباحث في أنه سيعفي نفسه وهو مطمئن من أن تزدحم دراسته بمقتطفات مطولة من خطب ومقابلات وأحاديث الزعماء السعوديين ، أو مقارنة ذلك بنمط التصويت السعودي في المنظمات الدولية ، أو وضع خط فاصل بين عهد وآخر ، فلئن اختلف الأشخاص في العهود المختلفة ، فإن خط السياسة السعودية في الصراع لا يتغير . ولذلك يصبح من أهم مقتضيات البحث التحليلي وفوائده ومتعه أيضاً ، أن نحدد درجة المرونة في مواجهة المواقف والتطورات الطارئة ، والتقلبات السياسية العنيفة التي تتعاوى كالرياح الهوجاء في جنبات العالم العربي .

فالخصيصة الأولى : إذن للدور السعودي من الصراع هي الأصالة والثبات والاستمرار مع المرونة المعقولة في مواجهة المتغيرات على النحو الذي سنشير إليه في حينه في هذه الدراسة .

وليس رصد هذه الخصيصة مجرد تسجيل لملاحظة مراقب توفر على بحث هذا الدور واهتم بتحليله ودرسه عملياً ، وإنما يعززها أيضاً إشارات الزعماء والمسئولين السعوديين أنفسهم إليها كلما واتتهم فرصة الإشارة إليها ، وذلك بدءاً بالملك سعود ، فالملك فيصل ، فالملك خالد ، ثم الملك فهد [1] .

الخصيصة الثانية : الوضوح والصراحة . ولابد من الاعتراف بأن قيمة الوضوح والصراحة تزداد كلما علمنا أن كثرة الاعتبارات ، وتشابكها وتناقضها مما يتصل بالصراع العربي الإسرائيلي ، فضلاً عن كثرة الأطراف المرتبطة بهذا الصراع تجعل مثل هذه الخصيصة أمراً صعب المنال والتحقيق .

الخصيصة الثالثة : عدم التناقض بين القول والفعل . ذلك أن ظروف الصراع والاعتبارات التي أشرنا إليها ، تجعل من الصعب تجنب التناقض بين الأقوال والأفعال . ومعلوم أن قضية الصراع العربي الإسرائيلي قد لعبت دوراً بالغ

---

(١) راجع على سبيل المثال تصريح الملك خالد لجريدة السياسة الكويتية في شعبان ١٣٩٩ هـ . المحيط السعودي ، العدد ٤٧ ص ١٠ كذلك تصريحات الملك فهد ، المحيط السعودي محرم ١٣٩٩ هـ العدد ٤٠ ص ١٤ ، وحديثه للرأى العام الكويتية ، المحيط السعودي ، ربيع الثاني ١٣٩٨ هـ ، ص ٨ .

الأهمية في السياسات المحلية ، وفي السياسات العربية ، وازدحمت ساحتها بالمزايدات والشعارات ، بل كانت من أهم أسس الشرعية السياسية التي يتذرع بها نظام ليبرر أحقيته في الحكم أكثر من نظام آخر في الداخل ، أو ليفاخر بها غيره من النظم العربية الأخرى ويزعم حقه في الرياسة والصدراة بمقتضاها . وهذه حقيقة واضحة في السياسات العربية تقتضي المناسبة إيرادها ، ويضيق المقام عن تفصيلها وإيضاحها ، لأن أهمية الشيء لا تُدرك إلا بمعرفة ضده ونقيضه .

الخصيصة الرابعة : الالتزام والأمانة والصدق . ولكي نعرف أبعاد هذه الخصيصة تجب الإشارة إلى أن المملكة كانت من أسبق الدول العربية وفاء بالتزاماتها التي وعدت بها ، أو التي تقررت في إطار عربي ، وسواء كان مضمون هذا الالتزام مالياً أو سياسياً أو سلوكياً أو غيره .

ولعل دارسي المنظمات الدولية يعرفون أن غالبية قراراتها لا تجد سبيلها إلى التنفيذ مما يعكس هوة سحيقة بين القرارات وبين الواقع السياسي الذي تمثله مصالح الدول الأعضاء ومدى مساس هذه القرارات بها . وأصبحت هذه ظاهرة عامة تعرف تارة بالانتهازية السياسية Political Opportunism أو النفاق السياسي Political Hypocrisy ولكن الدول المستفيدة تفضل أن تطلق على هذه الظاهرة « مقتضيات الملاءمة السياسية » Political Convenience .

ومؤدى شيوع هذه الظاهرة أن معظم قرارات المنظمات الدولية والمؤتمرات الدولية أصبحت حبراً على ورق ، مما يقلل من الفاعلية السياسية لهذه المنظمات ، ويجعل بقاء بعضها عبئا مالياً وإداريا لا مبرر له . وتتجلى الانتهازية السياسية هذه في مسارعة الدول إلى تقديم مشروعات القرارات والإدلاء ببيانات قوية توحي بصدق العزم على التنفيذ حتى تكسب الدعاية لموقفها ، ودورها الفعال وغيرتها على القضية موضع النظر ، دون أن يقترن ذلك بنية التنفيذ أو مشقته ، وقد بلغ خطر هذه الظاهرة بالكثير من الدول أن أصبحت هذه أموراً عادية في سلوكها ، بحيث أصيبت بأمراض انفصام الشخصية السياسية في الداخل (بين الشعب

والحكومة) ، وفي الخارج (بين الدولة والدول الأخرى Political Schizophrania وهذا يمهد لنا إدراك أهمية الخصيصة الخامسة .

والخصيصة الخامسة : سبق الأعمال للأقوال [1] ، وعدم التناسب بين العمل والإعلان عنه . وهذه الصفة كانت من لوزام الدور السعودي منذ عهد الملك عبد العزيز ، فقد أشار الملك عبد العزيز إلى ضرورة الالتزام بهذه الصفة مهما كانت الأراجيف وقال : « نحن لا نعمل للناس ، نحن نعمل لمرضاة رب الناس » [2] ورغم أن هذه الصفة أملاها الحرج عن الإعلان ، مثلما نوه بذلك الملك فيصل [3] ، فضلاً أنها توفر الفرص اللازمة لنجاح العمل وسط ضجيج المسرح العربي ، إلا أن ذلك يلقي تبعة كبرى على الإعلام السعودية ، وعلى فهمه وتحديده لوظيفته وارتباطه بالقرار السياسي . فإذا كان من المقبول أن تتسع حرية الإعلان عن التبرعات والمساهمات المالية وغيرها ، إلا أنه يصبح من الضروري أن يلعب الإعلام المعاصر دوره في خدمة القرار السياسي حين يتعلق الأمر بدور أو سلوك أو موقف سياسي ترى المملكة اتخاذه في خضم السياسات العربية المرتبطة بجوانب الصراع العربي الإسرائيلي . وتكمن أهمية هذه النقطة في أن بعض المواقف أو الأدوار تحتاج إلى تحرك إعلامي نشط يتولى الشرح والإيضاح والتنوير والإقناع . والواقع أن المملكة تؤمن بقيمة التضامن العربي وتسعى إليه بكل السبل ، تحرص في نفس الوقت على ألا يكون موقفها أو سلوكها أو دورها في

---

(١) كان الملك عبد العزيز يقول – بصدد قضية فلسطين – « أنا لا أحب أن أقول عملت ، ولا أن أقول ، سأعمل » ، ولا أحب الأقوال مطلقاً . راجع خطب الملك وأحاديثه : محيي الدين القابسي ، المصحف والسيف ، ص ١٣٦ . وقال الملك أيضا لوفد اللجنة العربية العليا خلال مقابلتها له في القاهرة عام ١٩٤٦ م ، « أنه لا يرغب في الأقوال ، وطريقته هي العمل الصامت » المرجع السابق ، ص ١٧٣ م .

(٢) انظر خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز ، مجلد ٣ ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٧ م ، ص ١٠٧٢ .

(٣) يرى د. منير العجلاني أن الملك فيصل قال له في خجل : « والله أستحي أن أذكر أمام الناس ما فعلناه ، وما فعلنا في الحقيقة إلا أقل مما يجب على العربي لأخيه العربي في محنته » . انظر ص ٣٢٧ من كتابه : تاريخ مملكة في سيرة زعيم ، فيصل ملك المملكة العربية السعودية وأمام المسلمين ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

أي من جوانب الصراع العربي الإسرائيلي سيباك في شق الصفوف العربية ، أو تشجيع المحاور في المواقف العربية [١] .

الخصيصة السادسة : الالتزام بتقاليد العمل العربي الجماعي فيما يتصل بجوانب الصراع . وقد شدد الزعماء السعوديون على ذلك في كل مناسبة . ومنذ وقت مبكر وهذه الخصائص الملك عبد العزيز أيضاً [٢] وقد أكدت بعض البحوث على هذه الخصيصة كما أسلفنا [٣] .

الخصيصة السابعة : وضوح الطابع الإسلامي [٤] والعربي في منطلقات الدور السعودي في الصراع العربي الإسرائيلي ، وذلك نظراً لموقع المملكة المركزي من العالمين العربي والإسلامي ودورها الواضح فيهما معا . ويرفض الفكر السياسي السعودي فكرة التصارع المزعوم بين العروبة والإسلام بشكل عام ، وبين الخط العربي ، والإسلامي في السياسة السعودية بوجه خاص ، ذلك أن الإسلام آخر

---

(١) راجع على سبيل المثال حديث الملك فهد للرأى العام الكويتية ، ونشرته الجزيرة السعودية يوم ١١ مارس ١٩٧٨ م . وكذلك حديث الملك فهد بمناسبة عيد الفطر عقب توليه الحكم ، وكان ذلك في ١٩٨٢/٧/٢٥ م نقلا عن صحيفة المدينة .

(٢) وقد رسخ في الفكر السعودي منذ عهد الملك عبد العزيز أن تفرق المسلمين والعرب هو آفتهم وسبب محنتهم ، ونجد ذلك بوضوح في خطب الملك عبد العزيز التي جمعها محيي الدين القابسي ، مرجع سبق ذكره . وتجب الإشارة أيضا إلى أن الملك عبد العزيز في لقائه باللجنة الأمريكية البريطانية عام ١٩٤٦ م قال لأعضائها « أنا واحد من العرب ، ورأيه هو ما يجمع عليه العرب ، وقد أجمعوا على رفض التقسيم ، وهو واحد منهم ليس له رأى خاص يخالف ما أجمعوا عليه » . راجع الزركلي – الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، الطبعة الثانية ، ص ٢٨٦ .

(٣) راجع أديد داويشا ، مرجع سابق ، ص ٦٧٩ – ٦٨٠ .

(٤) وهذا واضح في خطب وأقوال الزعماء السعوديين منذ عهد الملك عبد العزيز حيث نراه يقابل في وضوح بين حقوق المسلمين ، وحقوق اليهود في فلسطين وحيث نظر إليه من وجهة نظر الزعامة الإسلامية ، ونجد ذلك أيضا بشكل خاص بعد استيلاء إسرائيل على الأماكن المقدسة في القدس ، ومخططات اليهود ضد المقدسات الإسلامية فيها . ويكفي أن نشير إلى أن الدراسات التي تناولت السياسة السعودية قد أجمعت على طابعها الإسلامي سواء في ارتكازها صراحة على ذلك ، أو ما ينطوي عليه عداؤها للصهيونية من أثر هذا الطابع .

راجع على سبيل المثال : M.S. Agwani, Politics in the Gulf, New Delhi 1978, Sheikh Rustum Ali, Saudi Arabia and Oil Diplomacy, U.S.A, 1976, Chap 5.

رسالة سماوية اختار الله سبحانه أن يكلف بها ويشرف بها العرب لحملها وصيانتها ونشرها ، ثم أكد الرسول الكريم على أن اختيار العرب وتشريفهم بهذه الرسالة محلاً للاعتزاز والفخر . إلا أنه في ذاته ليس من دواعي طلب التميز والترفع ، فالتقوى وحدها هي معيار التميز والمفاضلة . ومن الواضح أن هذا التمييز بين العروبة والإسلام أو بين العروبة والإفريقانية التي روج لها بعض الكتاب ، ليست سوى غمزات استعمارية عنصرية لقنها لأذنابه وحاملي رسالته في وطننا الكبير لينفثوا سمومها تحت ستار البحث العلمي .

إن قوة الطابع الإسلامي في بلد كانت مهد العرب الأوائل على مر العصور وشرفها الله بميلاد آخر أنبيائه وأصفاهم على ترابها ، ووقوع الأماكن المقدسة الإسلامية فيها ، يمثل امتزاج العروبة والإسلام امتزاجهما في الرسالة الإسلامية نفسها . ثم أن اصطباغ سياستها العامة بالطابع الإسلامي الغلاب لا يجيز المقارنة بين غلبة أي من الطابعين العربي أو الإسلامي ، فضلاً عن أن الطابع الديني لنشأة الأسرة الحاكمة والمملكة جعلتها قبلة العالم الإسلامي وأهلاً لحمل هذه الرسالة المشرفة .

ولذلك ليس غريباً أن نجد القيادة السعودية تفسر هزيمة العرب عام ١٩٦٧ م بابتعادهم عن دينهم الحنيف ، وتجد في العودة إلى الله بقلب خالص الملاذ الآمن والمنقذ الوحيد من مهاوي الهزيمة والضياع ، ولعلها اختبار للمؤمنين [١] .

ولقد أكدت الزعامات السعودية المتعاقبة [٢] ، أن سياسة المملكة في المجال الخارجي تنهض على الأساسين معاً وهما التضامن الإسلامي ووحدة الصف العربي ، وهما في نفس الوقت منطلق الدور السعودي وتوجيهه في قضية الصراع العربي الإسرائيلي .

---

(١) راجع على سبيل المثال كلمة الملك فيصل ، جريدة عكاظ في ١٩٦٨/٣/٢١ م .

(٢) راجع بيان الحكومة السعودية عقب وفاة الملك فيصل ، وبيان الفيصل نفسه عند توليه ، عبد مسعود الجهني ، رجال ومواقف ، ص ١٩٣ – ١٩٥ م .

وقد عبر الملك فيصل [1] عن نفس المعنى أيضاً في مؤتمر عدم الانحياز عام ١٩٦٤ م بأن المملكة ، فضلاً عن مكانها في المحيط العربي تحتل مكانها في العالم الإسلامي ، لأنها منبع الحضارةالعربية ومهبط الوحي والرسالة الإسلامية . وستبقى على مر العصور المؤتمنة على التراث الإسلامي والحامية لأماكن الإسلام المقدسة .

وحدد الملك فيصل [2] موقف المملكة الفكري من هذه القضية مرة أخرى بأن المملكة هي أصل العرب ، وأن القومية العربية ليست مذهباً ولا مبدأً ولا عقيدة ، وإنما حس ودم ولغة .

الخصيصة الثامنة : أوضحت الزعامة السعودية في جلاء أن الدور السعودي في الصراع العربي الإسرائيلي لا يستهدف مزاحمة أحد على مواقع الزعامة [3] ، أو المتاجرة بالقضية للحصول على كسب إعلامي أو سياسي . فالسياسة السعودية إذن في هذا المجال ليست سياسة تنافسية ولكنها سياسة تعاونية تؤمن بالمثل العربي « المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه » ، ويدعم هذه الملاحظة أمران على الأقل : **الأول** أن تحقيق التضامن العربي والوفاق العربي من أهم ركائز السياسة السعودية ، **والثاني** أن جبهة العمل العربي في الصراع العربي الإسرائيلي تتسع لكل جهد عربي .

وتلعب المملكة دوراً بارزاً في توحيد الموقف العربي وبلورته لدعم الدبلوماسية الفلسطينية منذ إعلان الدولة الفلسطينية ، وبدخل في هذا الإطار زيارة الملك فهد للقاهرة في مارس ١٩٨٩ بعد زيارة كل من الملك حين وياسر عرفات لها واتفاقهم فيها على خطوط الموقف العربي ، ثم الاتفاق على أن يعرض الرئيس مبارك هذا الموقف العربي الموحد في واشنطون التي زارها عقب زيارة الملك فهد للقاهرة .

---

(١) انظر د. منير العجلاني ، مرجع سابق ، ص ٣١٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢١ .

(٣) انظر د. السيد عليوه ، الملك فيصل والقضية الفلسطينية ، الرياض ١٩٨٢ م ، ص ١٧ .